

﴿لَا تُحْرِكْ بِلِسَانِكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [سورة القيامة: ١٦]

"دراسة تفسيرية مقارنة"

أ.د. جهاد النصيرات**

أفنان حسام رحال*

تاريخ قبول البحث: ٢٠٢٠/١٢/٢٧ م

تاريخ وصول البحث: ٢٠٢٠/٦/١٠ م

ملخص

تتناول الدراسة قوله تعالى: ﴿لَا تُحْرِكْ بِلِسَانِكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [سورة القيامة: ١٦] بدراسة تفسيرية مقارنة، بهدف بيان اختلاف المفسرين في الآية وتحديد موطن الخلاف فيها، مع التعرف على أدلتهم التي استندوا عليها فيما ذهبوا إليه، ثم الترجيح بين هذه الآراء وفق منهجية علمية سليمة، وتظهر أهمية الدراسة في تقديمها دراسة تطبيقية في التفسير المقارن الذي يعدّ من ألوان التفسير التي لا زالت المكتبة التفسيرية بحاجة لتطبيقات عليه، وقد أتبع فيها عدد من المناهج؛ كالمناهج الاستقرائي، والوصفي النقدي، والمقارن، والاستنباطي، وقد توصلت الدراسة إلى نتائج مختلفة من أبرزها؛ أنّ موطن النزاع كان في ثلاثة قضايا؛ أولها؛ تحديد المخاطب في الآية وقد ترجّح أنه النبي ﷺ، وثانيها؛ تحديد علة الاستعجال في تحريك لسانه عند قراءة القرآن، وتبيّن أنها ترجع لأسباب مختلفة منها: حرصه على الدعوة، وخوفه من النسيان، وثالثها؛ تحديد معنى النهي في الآية، وتبيّن أنه محمول على معناه، وفيه مزيد طمأنينة في حفظ القرآن الكريم. الكلمات الدالة: لا تحرك لسانك، تفسير، مقارن.

"Move not thy tongue concerning the (Qur'an) to make haste therewith" A comparative explanatory study

Abstract

The study is addressing the Almighty saying: "Move not thy tongue concerning the (Qur'an) to make haste therewith" (Al-QeyamahV.16), in a comparative expository study, that is aiming to clear the different interpretation of the verse, and determine the debated aspect about its meaning and to recognize the evidences that been provided on in order to prove their theory, then to weighting between these theories in a valid scientifical method.

The significant effect in this appears in an applied study in the comparative interpretation in which is considered as one of the Interpretation methods, in which the construing library is still needs an applications on it, many curriculums been followed in it such as: the extrapolation, the descriptively vetoing, the comparativeness, and the deductive methods.

* باحثة - afnan_rahhal90@hotmail.com

** أستاذ، قسم أصول الدين، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية.

The study has resulted on the following facts in which the main point of debate was in determining the addressee identity, it was most likely agreed that is the prophet peace be upon him, and the prophet's hastiness while reciting the Quran was due to his abidance to the call and out of fear of forgetfulness, and the forbidding in the Verse was meant to its' meaning and to provide more tranquility to be saved by heart "Quran".

Key words: do not move your tongue, expository, comparative.

المقدمة.

الحمد لله حمدًا يوازى فضله ونعمه، الحمد لله منزل الكتاب وجاعله كتاب الهداية والرشاد، والصلاة والسلام على خير الخلق والأنام، الهادي إلى سبل الحقّ الحافظ لكتاب الله الحريص على أمته سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه الكرام، وبعد: فإنّ الله تعالى قد امتنّ على البشرية بحفظ كتابه من التحريف والتبديل، وقد كان من أشكال حفظه أن هياً لهذا الكتاب من يفسر آياته ويبين معاني مفرداته، لكن لما كانت سنة الاختلاف هي سنة من سنن الله تعالى في الأرض، ولما كان القرآن الكريم حمّال ذو وجوه، اختلفت الآراء بين المفسرين في تفسير بعض آيات القرآن الكريم، وظهرت هنا الحاجة إلى دراسة هذه الآراء وبيان نوع الاختلاف فيها وتحديد موطنه، ومن هنا ظهر لون تفسيريّ جديد سُميَ بـ"التفسير المقارن"، والذي تقوم مهمته على دراسة الآراء التفسيرية من خلال جمعها والموازنة بينها وفق منهجية علمية منضبطة، للوصول إلى رأي في موطن الخلاف في الآية، علماً بأنّ هذه الاختلافات منها ما يكون خلاًفاً حقيقياً يحتاج معه الباحث أن يتمعن في الأدلة ليدرك الراجح بين هذه الآراء والصحيح منها أو يجد رأياً جديداً في المسألة، ومنها ما هو خلاف صوريّ يتمكن فيه الباحث من الجمع بين الآراء.

مشكلة الدراسة.

لما كان الاختلاف واقعاً بين المفسرين في فهم آيات كتاب الله تعالى، جاءت هذه الدراسة لتتناول قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهٖ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهٖ﴾ [القيامة: ١٦]، بدراسة تفسيرية مقارنة، وتظهر مشكلة الدراسة في الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي: ما حقيقة الاختلاف ونوعه الذي وقع بين المفسرين في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهٖ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهٖ﴾ [القيامة: ١٦]؟ وينبثق عنه الأسئلة الآتية:

- ١- ما الآراء التفسيرية حول هذه الآية؟
- ٢- ما الأدلة التي اعتمدت عليها هذه الآراء؟

أهمية الدراسة.

تظهر أهمية هذه الدراسة في كونها:

- ١- تقدّم نموذجاً تطبيقياً في التفسير المقارن، والذي يعدّ من الألوان التفسيرية التي ما زالت غضة من الناحية التأصيلية والتطبيقية، مما يضيف للمكتبة التفسيرية المقارنة محاولةً جديدةً من الناحية التطبيقية.

- ٢- تقدم نموذجًا تطبيقيًا يفيد منه الدارسون والباحثون في المجال القرآني التفسيري، ويفيد منه الباحثون في القضايا المشكّلة في القرآن الكريم.
- ٣- تعالج الإشكال وتحرر موطن النزاع في الآية الكريمة، وتبيّن آراء المفسرين وأدلتهم التي اعتمدوا عليها فيما ذهبوا إليه، وكيفية استدلالهم بهذه الأدلة على رأيهم.

أهداف الدراسة.

- من خلال ما سبق فإن الدراسة تهدف إلى:
- ١- تحديد الآراء التفسيرية وموطن الخلاف في الآية.
 - ٢- تحديد الأدلة التي اعتمد عليها المفسرون لترجيح آرائهم.
 - ٣- بيان نوع الخلاف بين المفسرين ومن ثمّ بيان الراجح في تفسير الآية جمعًا للأراء أو ترجيحًا بينها أو بإيجاد قولٍ جديدٍ.

منهجية الدراسة.

- اقتضت طبيعة الدراسة اتباع المناهج الآتية:
- ١- المنهج الاستقرائي: وذلك من خلال جمع الآراء من كتب التفسير، وجمع الأدلة التي أشار إليها المفسرون.
 - ٢- المنهج الوصفي النقدي: وذلك من خلال عرض آراء المفسرين وتقييمها.
 - ٣- المنهج المقارن: وذلك من خلال الموازنة بين الآراء التفسيرية مع أدلتها للوصول إلى رأي في المسألة.
 - ٤- المنهج الاستنباطي: وذلك من خلال تحليل الآراء والأدلة عند المفسرين واستنباط رأي في المسألة.

الدراسات السابقة.

لم يقف الباحثان بحسب اطلاعهما على دراسة تناولت سورة القيامة من زاوية التفسير المقارن، سوى رسالة واحدة بعنوان (التفسير المقارن للآيات كريمات من سورة الواقعة إلى سورة الناس) للدكتور باسل علي الخطبان، وهي رسالة دكتوراه قُدمت لجامعة العلوم الإسلامية، عام (٢٠١٣م)، ضمن مشروع التفسير المقارن الذي قامت به الجامعة، وقد تناول الباحث سورة القيامة وبعض آياتها بدراسة مقارنة، ولم تكن من ضمنها آية الدراسة، لكن وقف الباحثان على عدد من الأبحاث المتعلقة بسورة القيامة والتي كانت الدراسة فيها من الناحية التحليلية أو البلاغية أو الموضوعية، مما يجعل هذه الدراسة تختلف عمّا سبقها في كونها تتناول آية من سورة القيامة بدراسة تفسيرية مقارنة، ومن هذه الأبحاث:

- (١) (سورة القيامة دراسة تحليلية) لعلي يوسف علي، وهي رسالة ماجستير قُدمت لجامعة أم درمان، عام (١٩٩٢م)، وتحدث فيها عن ارتباط الآيات الأربع بالسورة من ناحية بلاغية تحليلية.
- (٢) (وحدة السياق في سورة القيامة) للدكتور حسن طبل، في مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، العدد (١٨)، عام (١٩٩٥م)، وفيه عالج شبهة انقطاع قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا

قَرَأْتُهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتَهُ﴾ [القيامة: ١٦-١٩] عن سياق السورة من خلال الوحدة الموضوعية فيها، وقد أفاد الباحثان من هذا البحث في المقدمات التعريفية لسورة القيامة.

(٣) (سورة القيامة دراسة بلاغية تحليلية) للدكتور إبراهيم التركي، في مجلة العلوم العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد (١٤)، عام (٢٠١٠م)، تحدث فيه عن سورة القيامة من ناحية بلاغية للوقوف عند البيان القرآني فيها من خلال إظهار وجوه البلاغة في آياتها، وقد أفاد الباحثان من هذا البحث في المقدمات التعريفية لسورة القيامة.

خطة الدراسة.

تطلبت طبيعة الدراسة أن تكون في مقدمة، وتمهيد، ومطلبين، وخاتمة.

المقدمة: وفيها مشكلة الدراسة، وأهميتها، وأهدافها، ومنهجيتها، والدراسات السابقة، وخطة الدراسة.

التمهيد: "بين يدي السورة": وفيه تعريف عام بالسورة وبيان الوحدة الموضوعية لها.

المطلب الأول: آراء المفسرين في الآية وموطن النزاع فيها، وفيه ثلاثة قضايا:

أولاً: الأقوال في المخاطب في الآية.

ثانياً: الأقوال في سبب العجلة.

ثالثاً: الأقوال في نوع (لا) في الآية.

المطلب الثاني: أدلة المفسرين ومناقشتها، وفيه ثلاث قضايا:

أولاً: الخلاف في المخاطب في الآية.

ثانياً: الخلاف في سبب العجلة.

ثالثاً: الخلاف في نوع (لا) في الآية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد: بين يدي سورة القيامة.

سورة القيامة سورة مكية، وقعت في الجزء التاسع والعشرين، وهي الخامسة والسبعون في الترتيب المصحفي، نزلت بعد القارعة وقبل الهمزة، وهي الثلاثون في النزول عند الزركشي^(١)، والحادية والثلاثون عند ابن عاشور^(٢)، لكن لا بد من الإشارة إلى أن هذا الترتيب لا يُسلم به ما لم يثبت بنص عن النبي ﷺ، فقد تعددت واختلفت الروايات المتعلقة بترتيب سور القرآن بحسب النزول وكثير منها يفتقر للتحقيق، كما يذكر أنه قد اختلف في عدد آياتها؛ فهي أربعون آية في العد الكوفي بعده لـ ﴿لَتَعْجَلَ بِهِ﴾، وتسع وثلاثون عند غيره لعدم عدّها^(٣)، أما علة تسميتها بهذا الاسم فقد أرجعه القاسمي؛ "إلى تضمنها غاية تعظيم ذلك اليوم"^(٤)، وحمله ابن عاشور على "وقوع القسم بيوم القيامة في أولها"^(٥)، وقال الألوسي: "يقال لها سورة لا أقسم"^(٦)، وقد يكون قوله هذا تبعاً لمطلعها، إلا أن السيوطي لم يذكرها في السور ذات أكثر من اسم^(٧)، وفي اعتقاد الباحثين تبقى هذه التعليقات اجتهادية، ما لم يرد نص صريح في علة التسمية.

تعدّ سورة القيامة من سور المفصل التي فضّل الله تعالى بها النبي ﷺ عن سائر الكتب السماوية، كما جاء في بعض روايات فضائل القرآن^(٨)، وقال ابن عطية فيها: "روي عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: من سأل عن القيامة أو أراد أن يعرف حقيقة وقوعها، فليقرأ هذه السورة"^(٩)، ولم يصح سبب نزول للسورة ككل، إلا ما كان في سبب نزول الآية موطن الدراسة وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

يدور محور السورة وتلثي أشواطها حول بيان حقيقة الموت والبعث من خلال عرض أهوال يوم القيامة وحال الإنسان حينها، وبيان ما يلقاه كل واحدٍ بحسب عمله، مع عرضها لمشهد الاحتضار في تأكيدٍ لحقيقة الموت وانتهاء الدنيا العاجلة، التي هي السبب في غفلة الناس فهم مرتبطون بها وبحبها، متضمنة في كل هذا جزأً عن حبّ التعجل في أيّ أمر، وكل هذا تحقّقه مقاطع السورة ومشاهدها بطريقة مبدعة يقول فيها سيد: "هذه السورة رغم قصرها وصغرها إلا أنّها تحشد على القلب البشري من الحقائق والمؤثرات والصور والمشاهد، ما لا قبل له بمواجهته ولا التقلت منه، وقد يكون المساعد على هذا التأثير أسلوبها التعبيري، أو الموسيقي"، ثم قال: "هذا النظم إنّما جاء بهذه الصورة ليعالج عناد القلب وإعراضه ولهوه، فهو يشعر بأنه محاصر بعمله لا يهرب منه ولا ملجأ من الله ﷻ يومها ولا عاصم"^(١٠)، ويمثل هذا قال ابن عاشور في أغراض السورة^(١١)، ويمثله قدّم الصابوني للسورة^(١٢)، وقد قيل من مقاصدها: إظهار قدرة الله ﷻ على جمع الخلق وبعثهم من جديد^(١٣).

مقاطع السورة:

اختلف المفسرون في تقسيم مقاطع السورة وأشواطها؛ تبعاً لنظرتهم في الآيات والهدف الذي يريدون تحقيقه من التقسيم؛ فمثلاً جعلها سيد في ستة أشواط يعالج كل واحدٍ منه موضوعاً يخدم محور السورة الذي وضعه، مع ربطه للأشواط بعضها مع بعض^(١٤)، وتبعه وهبة الزحيلي في تقسيمه مع اختلافات بسيطة^(١٥)، بينما سعيد حوى ذهب إلى تقسيم الآيات بطريقة أخرى، فرأى أنّ السورة تتألف من مقدمة؛ مكونة من آيتين، ومن فقرتين كل منهما يبدأ بقوله: ﴿أَيْحَسِبُ﴾؛ أمّا المقدمة فهي قوله: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ * وَلَا أَسْأَلُكُمْ بِالنَّفْسِ الْوَلَوَامَةِ﴾ فهذا تبدأ سورة القيامة بقسمين لا تجيب عليهما؛ لأنّ الجواب مفهوم من سياق السورة، فهو قسمها إلى فقرتين معتمداً على رؤوس الآي المتشابهة، ثم بعد ذلك قسم الآيات في الفقرة إلى مجموعات تبعاً للموضوع الذي تعالجه، وقد أجاد في هذا التقسيم والربط حتى أنّ كل مجموعة تسلم المجموعة التي تليها زمام إتمام المعاني التي تطرحها هذه السورة، ولا يفوتنا الذكر أنّ سعيد حوى يحاول ربط محاور سور القرآن بمحاور سورة البقرة^(١٦)، وقد رأى الباحثان أنّ أجودها في التقسيم هو ما ذهب إليه سعيد حوى.

علاقات السورة:

أولاً: علاقة السورة بما قبلها وما بعدها:

الناظر في سور القرآن الكريم يعلم أنّ بين هذه السور وشائج وصلات، خاصّة إن كان ممن يعتقد أنّ ترتيبها على هذه الصورة إنّما هو توقيفيّ من الله تعالى، وقد بحث المفسرون العلاقات بين السور وحاولوا أن يجدوا الصلات بينها.

وقد جاءت سورة القيامة مسبوقة بسورة المدثر التي جاءت للأمر بالنهوض بالدعوة وتوعد المكذبين بها، وكان هذا الأمر بلفظ الإنذار (قم فأندر)، والإنذار فيها كان للتذكير بيوم القيامة وحثمية وقوعه والتخويف من أهواله، إلا أن هذا الإنذار واجهه الكفار بالتكذيب، ممثلة على حالة التكذيب هذه بأحد المكذبين، وبيان حالته في التكبر وإصراره على ما هو عليه رغم الإنذار، معتدًا بما أوتي من مال وولد، فبيّنت السورة أن هذا لن ينفعه، فمصيره إلى سقر التي لا تبقى ولا تذر، ليكون بسط القول في سورة القيامة وبيان أهوال ذلك اليوم وانقلاب الكون المحكم، مع بيان مشهد الحساب والبعث، وبيان حالة الاحتضار التي هي أول منازل الآخرة، مبتدئة هذا بسؤال إنكاريٍّ موجهٍ لمن كذب بذلك اليوم بقوله: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ﴾ ويسأله مرة أخرى بقوله: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ثم أتبع ذلك بذكر أحوال الخلائق أجمع في ذلك اليوم: ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾، فرسمت للمنكرين ذلك اليوم رسمًا دقيقًا حتى صار كالأوضاع المشاهد لهم^(١٧). أما التابعة لها فكانت سورة الإنسان وقد تبدو العلاقة بينهما جلية، ذلك أن سورة القيامة التي عرضت انقلاب الكون والحياة، وكان فيها شدة تكاد بها الروح تبلغ الحلقوم، والتي عرضت حالة الاحتضار ونهاية الإنسان، وذكرته بأنه ما كان إلا نطفة امتنَّ الله تعالى عليها بالرعاية حتى بلغت أشدها، جاءت سورة الإنسان تتم هذا الكلام وتحدث الإنسان عن أصله وحكمة خلقه والغاية من وجوده على الأرض؛ لينتبه بهذا ويبتعد عن الكبر ويعلم مكانه من هذا الوجود، ويتذكر بأن الحياة ما هي إلا دار عبور، مبتدئة هذا باستفهام إنكاري يؤكد فيه لهذا الإنسان بأنه لن يترك سدى، فتتأكد عنده حتمية البعث والحساب، وحقيقة الجزاء والجنة والنار^(١٨).

فيمكننا مما سبق أن نقول أن سورة القيامة كونت مع ما قبلها وما بعدها، علاقة تكاملية تبدأ بأن المدثر قد جاءت للحديث عن يوم القيامة وحال المكذبين والمعاندين في الدنيا وحالهم في الآخرة، وأن نتيجة عنادهم تظهر يوم القيامة بعدم وجود شفيع لهم، لتأتي سورة القيامة وتتناول أحداثًا وأهوالًا لهذا اليوم كزيادة في الوعظ والإرشاد لهم، مع بيان سبب غفلتهم وهو ارتباطهم بالدنيا وحبهم لها، وتزيد في الوعظ ببيان حال الإنسان وقت الاحتضار وخروج الروح، لتختتم بتذكيره بأصل خلقته والهدف من خلقه، فتأتي بعد هذا سورة الإنسان وتبدأ بالتأكيد على أن الإنسان لم يخلق سدى بل كان خلقه لهدف معين، وتبين له أنه مخير في الطريق الذي يختاره، مع بيانها لعاقبة كل طريق، كما أكدت في خاتمها أن الكفار وعنادهم سببه حب الدنيا العاجلة وغفلتهم عن الآخرة، فالسور الثلاثة تتحدث عن محاور متشابهة وهي؛ عناد الكفار وارتباط العناد بحب الدنيا العاجلة مع الغفلة عن الآخرة، كما تتناول بعضًا من أحداث يوم القيامة وأهواله وجزاء الكافرين والمتقين، لكن كل واحدة تعالج الموضوع من زاوية وبطريقة عرض مختلفة.

ثانيًا: علاقة الآيات موطن الدراسة بالسورة وشبهة الانقطاع فيها.

ذكر الرازي أن قومًا من قدماء الروافض زعموا أن القرآن قد غير وبدل وزيد فيه ونقص منه، واحتجوا عليه بأنه لا مناسبة بين قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهٖ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهٖ﴾ وبين ما قبلها، ولو كان هذا الترتيب من الله تعالى لما كان الأمر كذلك، وقد ذكر المفسرون لدفع هذا الإشكال عددًا من الآراء قد يكون أجمعها ما ذكره الرازي، إذ قال: إنَّ المناسبة تظهر من وجوه كالاتي^(١٩):

- ١- الاستعجال المنهي عنه كان عند إنزال هذه الآيات، وهذا شبيهه بالمدرس إذا كان يلقي على تلميذه شيئاً، فأخذ التلميذ يلتفت يميناً وشمالاً، فيقول: المدرس في أثناء الدرس لا تلتفت يميناً وشمالاً ثم يعود إلى الدرس، فإذا نُقل الدرس مع هذا الكلام، فمن لم يعرف السبب يقول: إن وقوع تلك الكلمة في أثناء الدرس غير مناسب، لكن من عرف الواقعة علم أنه حسن الترتيب، **نقول:** وقد سبق الخطابي الرازي بقول قريب منه^(٢٠)، ونقله فيما بعد الزركشي^(٢١)، وقاله ابن جزري في التسهيل^(٢٢)، واعترض عليه الألوسي؛ لأنّ النظم الجليل بعيد عن هذا^(٢٣)، ويرجح الباحثان رأي الألوسي، كما أنّ هذا القول يزيد تأكيد شبهة الانقطاع.
- ٢- إن الله تعالى نقل عن الكفار أنهم يحبون السعادة العاجلة: **﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾** [القيامة: ٥] ثم بين أن التعجيل مذموم مطلقاً حتى التعجيل في أمور الدين: **﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾** [القيامة: ١٦] وقال في آخر الآية: **﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾** [القيامة: ٢٠]، **نقول:** وهذا وجه حسن مقبول في الربط، وقد ذكر الألوسي وجهاً قريباً منه^(٢٤).
- ٣- أن الله تعالى قال: **﴿بَلْ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾** [القيامة: ١٤-١٥]، فأظهر الرسول ﷺ التعجيل في القراءة خوف النسيان، فقيل له: إنك أتيت بهذا العذر لكنك تعلم أن الحفظ لا يحصل إلا بتوفيق الله تعالى فاترك التعجيل واعتمد على الله: **﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾** [القيامة: ١٦-١٧]، **نقول:** في هذا الربط ما لا يليق بالنبي ﷺ، فحاشاه أن ينسى اعتماده على الله تعالى وإن خاف النسيان، فتعجله إن دل على شيء، فهو دالٌّ على حرصه على الآيات وحفظها.
- ٤- كان الله تعالى قال: يا محمد إن كان غرضك من التعجيل أن تحفظه وتبلغه إليهم ليدركوا قبح ما هم عليه، فلا حاجة لهذا، فالإنسان على نفسه بصيرة، وهم بقلوبهم يعلمون ما هم عليه من منكر، فلا فائدة من التعجيل: **﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾**، **نقول:** وهذا وجه مقبول في الربط، ويدخل في حرصه ﷺ على تبليغ الدعوة.
- ٥- الكافر يقول: **﴿أَيْنَ الْمَفْرُغِ﴾** ثم قال: **﴿كَلَّا لَا وَزَرَ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾** [القيامة: ١١-١٢]، فالكافر كأنه كان يفر من الله تعالى إلى غيره فقيل لمحمد: إن في طلب حفظ القرآن بالتركرار استعانة بغير الله تعالى، فاترك هذا واستعن بالله تعالى، وكن كالمضاد للكافر الذي يستعين بغير الله تعالى، حتى يحصل لك مقصودك: **﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾** [القيامة: ١٧]، وقال: **﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾** [طه: ١١٤]، **نقول:** في هذا الربط ما لا يليق بالنبي ﷺ، فحاشاه أن يكون مستعيناً بغير الله تعالى أو أن يكون قاصداً هذا بتعجله.
- ٦- ما ذكره القفال^(٢٥) أنّ الخطاب موجه للإنسان في: **﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾** [القيامة: ١٣]، وذلك حين يعرض عليه كتابه فيقال له: **﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾** [الإسراء: ١٤]، فإذا أخذ في القراءة تلجج لسانه من شدة الخوف وسرعة القراءة فيقال له: **﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾**، فإنه يجب علينا بحكم الوعد أو بحكم الحكمة أن نجمع أعمالك عليك وأن نقرأها عليك، فإذا قرأناه عليك فاتبع قرآنه، بالإقرار بأفمالك، ثم إن علينا بيان أمره وشرح مراتب عقوبته، ففي الآية أشد الوعيد في الدنيا وأشد التهويل في الآخرة، ثم قال القفال: فهذا وجه حسن ليس في العقل ما يدفعه وإن كانت الآثار غير واردة به، **نقول:** والآثار الصحيحة أولى بالقبول، فتدفع هذا القول.

وزاد آخرون بعض الوجوه في ارتباط الآية بموضعها ومنها:

(١) أن الله تعالى لما ذكر منكر القيامة والبعث معرضاً عن آيات الله تعالى ومعجزاته، وأنه قاصر شهواته على الفجور غير مكترث بما يصدر منه، ذكر حال النبي ﷺ الذي يمثل حال من يثابر على تعلم آيات الله تعالى وحفظها وتلقفها والنظر فيها وعرضها على من ينكرها رجاء قبوله إياها، فبضدها تتميز الأشياء، ثم رجع للحديث عن حال الإنسان منكر البعث الذي أكبر همه الدنيا وحطامها، قاله أبو حيان (٢٦).

(٢) رفض السيوطي ما ذهب إليه الفقال لأنه يخالف ما ثبت في الصحيح بأنها نزلت في تحريك النبي ﷺ لسانه حالة نزول الوحي عليه، ورفضه الألوسي كذلك (٢٧)، ثم ذكر السيوطي وجوهاً لاتصال الآية بما سبقها، ومما زاده على الرازي: (٢٨)

• إن عادة القرآن إذا ذكر الكتاب المشتمل على عمل العبد حيث يعرض يوم القيامة، أرفده بذكر الكتاب المشتمل على الأحكام الدينية في الدنيا، التي تنشأ عنها المحاسبة عملاً وتركاً كما في قوله: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ [الكهف: ٤٩] إلى أن قال: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]، وفي الإسراء: ﴿فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِبَيْمِينَةٍ فَأُولَٰئِكَ يَفْرَحُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١] إلى أن قال: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٨٩]، وفي طه: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢] إلى أن قال: ﴿فَتَعْلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْضَلَ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

• وأضاف أن "النفس" لما تقدم ذكرها في أول السورة عدل إلى ذكر نفس المصطفى، كأنه قيل هذا شأن النفوس وأنت يا محمد نفسك أشرف النفوس فلنأخذ بأكمل الأحوال، **نقول**: وقد يكون قصده أن أكمل الأحوال ترك العجلة.

(٣) أن السر في كفر الكافرين باليوم الآخر؛ هو إرادة الإنسان في أن يفجر وأن يكون بعيداً عن التكليف، والقرآن كتاب التكليف، فجاءت الآيات تبيّن للنبي ﷺ كيف ينبغي أن يكون تلقية لكتاب التكليف، الذي يحوي عدداً من الأمور منها علم الساعة، فيكون في الآيات رد ضمني على إنكارهم للساعة، ثم جاءت الآيات التي تليها تتحدث عن الطبيعة البشرية، التي تحب الدنيا وتترك الآخرة، قاله سعيد حوى (٢٩).

بهذا يكون الباحثان قد حاولا استقصاء ما قيل في المناسبة بين الآيات وبقية السورة، وحتى نرجح بين الأقوال لا بد من الوقوف على سبب نزول الآية، فقد وردت في البخاري أربع روايات عن ابن عباس، مع اختلافات بسيطة في المتن، منها ما وردت بصيغة (فأنزل) وواحدة منها لم ترد فيها هذه الصيغة (٣٠)، كذلك وردت روايتان في صحيح مسلم بصيغة (فأنزل) واللفظ قريب من لفظ البخاري (٣١)، ووردت في مسند أحمد روايتان (٣٢)، ورواية في الترمذي قريبة مما في البخاري (٣٣)، ورواية في النسائي (٣٤)، وقد أشار لهذه الروايات وغيرها الوادعي في كتابه الصحيح المسند من أسباب النزول (٣٥).

ومن هذه الروايات ما روي في البخاري عن ابن عباس في قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهٖ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهٖ﴾ قال: "كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفثه فأنزل الله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهٖ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهٖ﴾ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾،

- قال: جمعه لك في صدرك وتقرأه: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَآتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ قال: فاستمع له وأنصت: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ثم إن علينا أن نقرأه، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه^(٣٦)، وبقية الروايات تؤيد هذا المعنى مع اختلاف بسيط في المتن، فثبت بها أن الآية قد نزلت تعلم النبي ﷺ كيفية تلقيه للوحي، وتطمأنه بأن الوحي سيحفظ في صدره بفضل من الله تعالى عليه فليس عليه التعجل في القراءة، وبناءً عليه فما أورده المفسرون من وجوه لاتصال الآيات منه ما قد يقبل ومنه ما قد يرفض؛ وأولها بالرفض ما خالف الصحيح المأثور بأن المخاطب الإنسان، وإن كان عقلاً لا يُمنع وينسجم مع النص كمعنى، وكذلك ترفض عدد من الوجوه التي أوردها الرازي، مما لا يستقيم وجهًا لدفع شبهة الانقطاع، لكن الباحثان يريان أن أكثر الوجوه انسجامًا مع النص، ومع الصحيح المأثور الآتي:
- ١- ما أورده أبو حيان من أنه لما ذكر الإنسان المتغافل الذي يريد أن يفجر بشهوته، ذكر المقابل له الراغب بحفظ الآيات وتحصيلها، ثم عاد لذكر الإنسان الغافل مجددًا.
 - ٢- ما ذكره السيوطي بأن هذه عادة القرآن بأن يذكر الكتاب المشتمل على أعمال العباد في مقابل الكتاب المشتمل على الأحكام الدنيوية، وخاصة أن سياق هذه الآيات مشابه لسباق آيات سورة طه والتي ورد فيها النهي عن العجلة كذلك بقوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾، وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.
 - ٣- ما قيل أن النهي عن العجلة في القرآن، يجعل العجلة في غيره من أمور الدنيا أولى بالدخول في النهي.
 - ٤- ما ذكره سعيد حوى من أنه ذكر كتاب التكليف في متوسط ذكر علل الفرار من التكليف والتكذيب باليوم الآخر؛ ليكون ردًا ضمنياً ومؤكداً على وجود اليوم الآخر.

المطلب الأول: أقوال المفسرين في الآية.

إن الناظر في كتب التفسير يجد أن الأقوال التي وردت في هذه الآية منتشبة وكثيرة، إلا أنه وعند إمعان النظر فيها، فإنه من الممكن أن تصنف إلى ثلاثة أقوال رئيسة كالاتي:

أولاً: الأقوال في المخاطب في الآية.

- ١- المخاطب في الآية هو النبي ﷺ، وهذا ما نقله جمهور المفسرين.
- ٢- المخاطب في الآية هو الإنسان، ذكره الرازي^(٣٧)، والبيضاوي^(٣٨)، وأبو حيان^(٣٩) جميعهم نقلاً عن النقال.

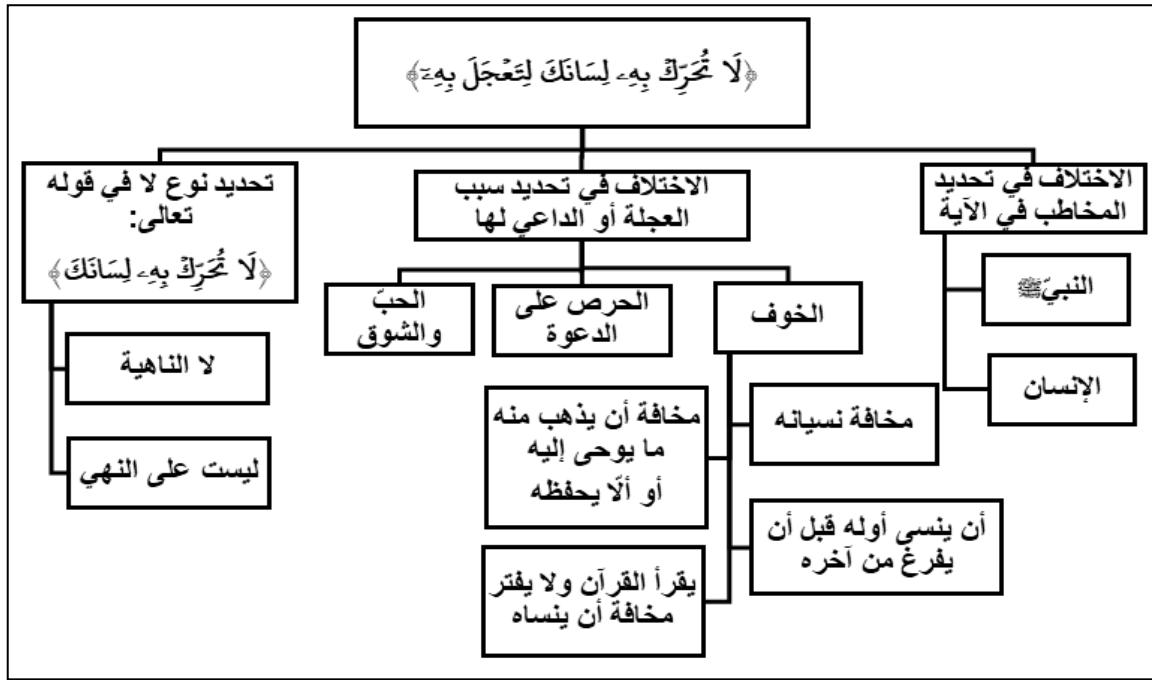
ثانياً: الأقوال في سبب العجلة.

- ١- السبب في العجلة وتحريك لسانه ﷺ هو حبه وتشوقه لحفظ آيات القرآن الكريم، ذكره الطبري نقلاً عن ابن عباس والشعبي^(٤٠)، وابن فورك نقلاً عن ابن عباس^(٤١)، ومكي بن أبي طالب^(٤٢)، والماوردي نقلاً عن عامر الشعبي^(٤٣)، والسمعاني نقلاً عن الضحاك^(٤٤)، والقرطبي نقلاً عن عامر الشعبي^(٤٥)، وابن عادل نقلاً عن عامر الشعبي^(٤٦)، وعبد الكريم الخطيب^(٤٧).
- ٢- السبب في العجلة وتحريك لسانه ﷺ حبه وحرصه على الدعوة، ذكره ابن عطية نقلاً عن عامر الشعبي^(٤٨)، وأبو حيان

- نقلًا عن عامر الشعبي^(٤٩)، والألوسي نقلًا عن عامر الشعبي^(٥٠).
- ٣- السبب في العجلة وتحريك لسانه ﷺ مخافة نسيانه، ذكره الطبري نقلًا عن قتادة^(٥١)، وابن فورك نقلًا عن مجاهد وقتادة^(٥٢)، ومكي بن أبي طالب نقلًا عن ابن عباس^(٥٣)، والماوردي نقلًا عن ابن عباس^(٥٤)، والسمعاني^(٥٥)، والبغوي^(٥٦)، والزمخشري^(٥٧)، وابن عطية نقلًا عن الضحاك^(٥٨)، والقرطبي نقلًا عن ابن عباس^(٥٩)، وابن جزري^(٦٠)، وأبو حيان نقلًا عن الضحاك^(٦١)، وابن كثير نقلًا عن ابن عباس^(٦٢)، وابن عادل نقلًا عن عامر الشعبي^(٦٣)، والسيوطي نقلًا عن قتادة^(٦٤).
- ٤- السبب في العجلة وتحريك لسانه ﷺ مخافة أن يذهب منه ما يوحي إليه، ذكره البيضاوي^(٦٥)، والنسفي^(٦٦)، وأبو حيان نقلًا عن ابن عباس^(٦٧)، والخطيب الشربيني^(٦٨).
- ٥- السبب في العجلة وتحريك لسانه ﷺ خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره، ذكره ابن كثير عن الشعبي والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك^(٦٩).
- ٦- السبب في العجلة وتحريك لسانه ﷺ مخافة ألا يحفظه، ذكره الواحدي نقلًا عن ابن عباس^(٧٠)، وابن الجوزي نقلًا عن ابن عباس^(٧١)، والرازي نقلًا عن ابن عباس^(٧٢)، وذكر نحوه أبو السعود فقال: كان يفعل ذلك مسارعاً إلى الحفظ وخوفاً من أن ينفلت منه^(٧٣)، وذكر نحوه الشوكاني فقال: يسارع في حفظه مخافة أن ينفلت منه^(٧٤)، ويمثله نقله الألوسي عن ابن عباس^(٧٥).
- ٧- السبب في العجلة وتحريك لسانه ﷺ أنه كان يقرأ القرآن ولا يفتر مخافة أن ينساه، ذكره الطبري نقلًا عن ابن عباس وقتادة^(٧٦)، والثعلبي^(٧٧)، والسيوطي نقلًا عن ابن عباس^(٧٨)، ومن الواضح أن هذا الرأي يفيد أن العجلة والتحريك قد وقعا منه ليس في أثناء الوحي، بل في حياته بشكل عام.
- ٨- السبب في العجلة وتحريك لسانه ﷺ أنه كان يستذكر القرآن مخافة نسيانه، ذكره الطبري نقلًا عن مجاهد والحسن^(٧٩)، والسيوطي نقلًا عن مجاهد^(٨٠)، وذكر نحوه ابن جزري فقال: كان يخاف أن ينسى القرآن فكان يدرسه حتى غلب عليه ذلك وشق عليه^(٨١)، ومن الواضح أن هذا الرأي يفيد أن العجلة والتحريك قد وقعا منه ﷺ ليس في أثناء الوحي، بل في حياته بشكل عام.

ثالثاً: الأقوال في نوع (لا) في الآية.

- ١- (لا) على معنى النهي، ذكره الماتريدي^(٨٢)، وعبد الكريم الخطيب وقال "يراد به النصح والتوجيه"^(٨٣)، وابن عاشور وقال أن النهي "هو نهى رحمة وشفقة لما كان يلاقيه في ذلك من الشدة"^(٨٤)، وعلى معنى النهي كان أغلب المفسرين، لكنّ المذكورين هنا -بحسب اطلاع الباحثين- ذكروا معاني بلاغية لهذا النهي.
- ٢- (لا) ليست على معنى النهي بل هو إشارة إلى الكفاية، أي: أن النبي ﷺ كُفي مؤونة الاستنكار، ذكره الماتريدي^(٨٥).
فما سبق يظهر لنا أن موطن النزاع في هذه الآية، كان حول ثلاث قضايا رئيسة يوضحها المخطط الآتي:



الشكل (١): مخطط الخلافات في الآية الكريمة.

المطلب الثاني: أدلة المضرين، ومناقشتها.

لا بدّ من الوقوف مع أدلة المفسرين في الأقوال السابقة ومناقشتها، ثم بيان الرأي المختار منها جمعاً بين الآراء، أو ترجيحاً بينها، أو استظهاراً لقولٍ جديدٍ، وأمّا ميزان الاختيار والترجيح فهو تابع لما تحتاجه الآية غير أنه لا يخرج عن: القرآن الكريم، والسياق؛ ويشمل سياق الآيات في السورة والسياق القرآني، والمنقول، واللغة، والعقل.

أولاً: تحديد المخاطب في الآية.

ذكر الأدلة، ومناقشتها:

انقسمت الأقوال في تحديد المخاطب في الآية إلى قسمين، ولكل منهما عدد من الأدلة كالاتي:

- ١- المخاطب هو النبي ﷺ وهو قول جمهور المفسرين: وقد استدلت الجمهور على هذا الرأي بعدة أدلة، هي:
 - المنقول: استدلتوا بسبب النزول الوارد في الصحيحين ومسنَد الإمام أحمد، وسنن الترمذي والنسائي، وقد قيل أنّ المخاطب فيها هو النبي ﷺ وأن فيها تطمين له بأن الله تعالى قد تكفل في حفظ كتابه وتثبيتته في قلبه، ومن هذه الروايات قال سعيد بن جبير: عن ابن عباس في قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفتيه، فأنزل الله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾، قال: جمعه لك في صدرك وتقرأه: ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾، قال: فاستمع له وأنصت: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾، ثم إن علينا أن نقرأه، فكان

رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه^(٨٦)، وكذلك استدلوا مع سبب النزول بقريظة الحال على أن الضمير في (به) عائد على القرآن^(٨٧)، فيفهم من قولهم هذا أن المخاطب هو النبي ﷺ.

• السياق: وهذا على وجهين:

- سياق الآيات في السورة: ذهبوا إلى أن السياق يدل على أن المخاطب هو النبي ﷺ تبعاً؛ لأن الضمير في (به) عائد للقرآن لدلالة سياق الآية على هذا^(٨٨)، ولدلالة آيات من القرآن على هذا نحو: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، والمعنى لا تحرك بالقرآن لسانك عند إلقاء الوحي من قبل أن يقضي إليك وحيه^(٨٩)، نقول: وقد يكون الألووسي وغيره قد ذهبوا لهذا بناءً على ما ترجح عندهم من رواية صحيحة في سبب نزول هذه الآية.

- سياق الآيات المتشابهة: قد يكون استدلالهم على أن الضمير في (به) عائد على القرآن وبناءً عليه فالمخاطب هو النبي ﷺ، ما ورد في سياق مشابه في سوره طه وهو قوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] ^(٩٠)، نقول: هنا النهي واضح عن العجلة في تلقي القرآن الكريم، فقد يكون ترجيحهم أن الضمير عائد على القرآن الكريم جاء بناءً على السياق القرآني، خاصة أن خطاب النبي ﷺ بالنهي عن التعجل (بلفظ التعجل) قد ورد في القرآن في أربعة مواضع؛ اثنان منهما في التوصية بالصبر على الكافرين والنهي عن استعجال عذابهم الذي سيقع بهم لا محالة وهو في قوله: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ [مريم: ٨٤]، وقوله: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْشِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلْغَ فُهْلٍ يُّهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، والموضعين الآخرين تعلقا بالقرآن الكريم وكان أولهما في قوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، والثاني في قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهٖ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهٖ﴾ [القيامة: ١٦]، لذلك قد يكون ترجح لديهم أن آية القيامة مشابهة لما في طه، فعاد الضمير عندهم على النبي ﷺ، وبالتالي فالمخاطب هو النبي ﷺ، بناءً على السياقات القرآنية المتشابهة.

• اللغة: ضعف ابن عاشور أن يكون المخاطب في هذه الآيات أحداً غير النبي ﷺ؛ لأن معاني الألفاظ الواردة في الآية تنبو عن ذلك^(٩١)، نقول: وقد يكون مقصده أن الألفاظ في الآية لا تحتل الوجه القائل: إن المخاطب هو الإنسان، ذلك أن في هذا تحميل للألفاظ معاني لا تحتلها.

٢- المخاطب هو الإنسان وهو قول منسوب للقفال: والظاهر أن القفال قد ذهب إليه؛ ليدفع شبهة الانقطاع في السياق، وقد استدلت على رأيه بدليلين:

• العقل: أي أنه ليس في العقل ما يدفعه وإن كانت الآثار غير واردة به نقله الرازي عنه^(٩٢)، نقول: لكن حقيقة ما يدفعه هو الصحيح المأثور في سبب النزول.

• السياق: وذلك تبعاً لأن ضمير (به) في لا تحرك لسانك به، وكذا الضمائر بعد، ترجع للكتاب المشار إليه بقوله: ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ * بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾، على قول من فسّر البصيرة بالكتابين، ولعل الجملة على هذا الوجه في موضع الحال من مفروع (يُنَبِّئُ) بتقدير القول كأنه قيل: "يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ بِوَمَنِّدٍ عِنْدَ أَخْذِ كِتَابِهِ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ" مقولاً

له لا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ^(٩٣)، **نقول:** هذا تعليل من القفال بناءً على الدليل العقلي السابق.

الرأي المختار:

فيما سبق من نقاش وبما ظهر من الاستدلالات فإنّ الراجح عند الباحثين أنّ المخاطب في الآية هو النبي ﷺ، بناءً على ما يأتي:

١- **المنقول:** فقد وردت أحاديث صحيحة تبيّن أن سبب نزول الآية هو الحال الذي كان يعتري النبي ﷺ عند نزول الآيات عليه، كما أنّ هذا الدليل المأثور يدفع الرأي القائل بأنّ المخاطب في الآيات هو الإنسان.

٢- **اللغة والسياق:** وقد أدمجا لتكاملهما في الترجيح، ويظهر هذا في أمرين:

• لفظ (عجل) كما قال ابن فارس: "العين والجيم واللام أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الإسراع، والآخر على بعض الحيوان، فالأول: العجلة في الأمر"^(٩٤)، وقد وردت هذه المادة في القرآن الكريم في سبع وثلاثين موضعاً بمعنى التعجل، أي: الإسراع، وقد خوطب النبي ﷺ في أربعةٍ منها كما ذكر سابقاً^(٩٥)، وقد جاء الخطاب في سورة طه والقيامة في النهي عن التعجل في أخذ القرآن الكريم، والذي يدفع الباحثان للقول بمشابهة التعجل في سورة القيامة بالتعجل في سورة طه، هو تشابه السياقات بين السورتين، فالآية في طه: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾، سُبِّتَ بالحديث عن يوم القيامة ووصف أهواله وملاقاة كل إنسان لما يستحقه من المصير، ثم أُتْبِعَ بالحديث عن فتنة الشيطان لآدم والتي يظهر فيها حب الخير الدائم أو التعجل في نيل هذا الخير وهو الخلود والملك الذي لا يبلى، وهذا السياق يشترك مع آيات سورة القيامة، فالآية التي جاء فيها النهي عن التعجل، سُبِّتَ بالحديث عن يوم القيامة وأهواله، ثم جاء قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾، ثم بعد ذلك تحدثت عن الإنسان وحبه للعالم وانشغاله فيها وفتنته بها، وبناءً على هذا التشابه ترجح لدى الباحثين أنّ المخاطب هنا هو النبي ﷺ، كما كان هو المخاطب في طه.

• الضمير في (به) عائدٌ على القرآن بناءً على التشابه في السياق المذكور سابقاً، ففي سورة طه ورد ذكر القرآن صراحة: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾ وفي سورة القيامة ذكر الضمير: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾.

ثانياً: تحديد سبب العجلة وتحريك اللسان والداعي له.

ذكر الأدلة، ومناقشتها:

تتوعد أقوال المفسرين في السبب الداعي لهذه العجلة واختلفت عباراتهم في التعبير عنها، إلا أنه من الممكن أن نجعلها على ثلاثة أسباب رئيسة وهي:

- ١- الحب والشوق لآيات القرآن الكريم.
- ٢- الحرص على الدعوة.
- ٣- الخوف، ويندرج تحته وجوه هي: مخافة نسيانه، أو مخافة أن يذهب منه ما يوحي إليه، أو أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من

آخره، أو مخافة ألا يحفظه، أو أنه يقرأ القرآن بتعجل ولا يفتر، أو أنه بالتعجل يستنكر القرآن، والظاهر أن القولين الأخيرين إنما يكونا بعد الوحي، وليس في أثناء الوحي لذلك يستبعد الباحثان أن يكونا مقصودين في هذه الآية. وقد نقل المفسرون هذه الأقوال عن أئمة التفسير كابن عباس، وقتادة، ومجاهد، والحسن البصري، وعامر الشعبي، والضحاك وغيرهم، يجدر الإشارة إلى أن المفسرين قد نقلوا عن هؤلاء الأئمة في بعض الأحيان أكثر من سبب في علة التعجيل، فمثلاً نقل عن ابن عباس أن العلة في العجلة؛ خوف النسيان وحببه وتشوقه للقرآن الكريم، ونُقل عن عامر الشعبي أن العلة؛ حبه للقرآن وحرصه على الدعوة، ونُقل عن الضحاك أن العلة؛ حبه وتشوقه للقرآن الكريم وخشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره، وغير ذلك.

أما الأدلة التي اعتمدها في أقوالهم:

- **المنقول:** فقد اعتمد أغلب المفسرين على المنقول من روايات أسباب النزول، ومنها استنبط هؤلاء الأئمة علة التعجل ونقلها المفسرون عنهم، وأبرز من أجاد في نكر الأقوال معتمداً على الروايات هو الإمام الطبري، فقد كان يذكر القول متبعاً إياه بالأسانيد الدالة عليه^(٩٦).
- **اللغة:** اعتمد بعضهم على اللغة في بيان علة التعجل، ومن ذلك حملهم (حرف الباء) في: ﴿لِتَعْجَلَ بِهِ﴾، على التعدية، وبناءً عليه جمع الشهاب الخفاجي والأوسمي بين أن العلة تجوز أن تكون بسبب خوف أن ينفلت منه شيء أو أنه لمزيد حبه وحرصه على أداء الرسالة^(٩٧)، وتسمى باء النقل كما في مغني اللبيب وتقوم مقام الهمزة في تصيير الفاعل مفعولاً^(٩٨)، فيكون المعنى بناء على هذا؛ تأخذه على عجل لعله الخوف أو الحب والحرص على التبليغ.
- **السياق:** وممن ذهب لهذا الإمام الطبري فقد رجح اعتماداً على السياق أن العلة هي الحب والاشتياق، تبعاً للآية التي تليها: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾، فقال: "ينبئ أنه إنما نُهي عن تحريك اللسان به متعجلاً فيه قبل جمعه، ومعلوم أن دراسته للتذكر إنما كانت تكون من النبي ﷺ من بعد جمع الله له ما يدرس من ذلك"^(٩٩).

الرأي المختار:

الناظر في هذه الأقوال يُدرك أن الخلاف هنا خلاف صوري، بمعنى ألا مانع من اجتماع هذه العلل، فلا تعارض بينها، والدليل على هذا:

- **القرآن الكريم:** يحتمل أن يكون التحريك منه خوف النسيان وذلك لقوله: ﴿سَنُقَرِّكَ فَلَا تَنْسَى﴾ [الأعلى: ٦]، فجاءت الآية تطمئن النبي ﷺ أنه سيحفظ الآيات فلا ينساها.
- **المنقول:** من الثابت عندنا أن النبي ﷺ، كان يشاق للوحي ويحب أن يكثر من مجيئه ومن ذلك ما ورد في صحيح البخاري عن ابن عباس أنه قال: "قال رسول الله ﷺ لجبريل: ألا تزورنا أكثر مما تزورنا؟"، قال: فنزلت: ﴿وَمَا نَنْتَرِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ [مريم: ٦٤] الآية^(١٠٠)، وقد ثبت في السيرة أن النبي ﷺ، كان يُصاب بالهَمِّ إذا أبطأ عنه الوحي.

- **العقل:** أن النبي ﷺ إنسان وقد تعثر به مشاعر خوف النسيان، أو العجلة لتلقي هذه الآيات وتبليغها من دافع الحرص؛ تبعاً للطبيعة البشرية والجملة الإنسانية، فجاء في الآية تنبيه على ترك الاستعجال، وليس في هذا انتقاص منه أو من نبوته.
 - **سياق الآيات القرآنية المتشابهة:** فقد ذكر في الدراسة سابقاً^(١٠١) أن سورتي طه والقيامة تشتركان في الجو العام الذي جاءت فيهما الآية، فهما تتحدثان عن يوم القيامة وفتنة الإنسان بالدنيا العاجلة وانشغاله بها عن الآخرة، وفي وسط هذا الكلام جاء الحديث عن القرآن الكريم والنهي عن العجلة في تلقيه، فيمكن أن يدل هذا على أن علة عجلة النبي ﷺ في تلقي الوحي تجتمع فيها مشاعر الحب والحرص على تبليغ الدعوة وتنبيه الغافلين من الناس، مع خوفه من نسيان شيء مما حفظه، فجاءت الآية كتوجيه رباني على ترك هذه العجلة التي لا تأتي بخير، وإن كان ما يستعجله في حقيقة الأمر خير، ويزيد هذا القول انسجاماً سياق الآيات فيما بعد؛ فقد أعقب النهي عن العجلة في تلقي القرآن، بذكر مثال على عاقبة الاستعجال، ففي سورة القيامة ذكر انشغال الإنسان بالدنيا العاجلة عن الآخرة والنتيجة على هذا، وفي سورة طه ذكر فتنة آدم ﷺ وعاقبة تعجله لنيل الخلد والملك الذي لا يبلى.
- وقد يُعترض على هذا بأن في مثل هذا القول تجويز للذنب على الأنبياء، ويمكن ردّ هذا الاعتراض بأن القرآن قد ضمّ بعضاً من التوجيهات للنبي ﷺ في طريق الدعوة من ذلك قوله: **(إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)** [القصص: ٥٦]، وقوله: **(فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ)** [فاطر: ٨]، وقوله: **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ)** [التحریم: ١]، وقوله: **(عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يُزَكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى)** [عبس: ١-٤] إلى آخر الآيات، فكما كان في هذه الآيات توجيهات للنبي ﷺ، فيحتمل أن تكون هذه الآية من ضمنها، وليس في هذا انتقاص منه ﷺ.

ثالثاً: تحديد نوع (لا) في الآية.

ذكر الأدلة، ومناقشتها.

انقسمت الأقوال فيما يتعلق بنوع (لا) في الآية إلى قسمين:

- ١- **(لا) الناهية:** ذهب إليه جمهور المفسرين ولم يجدوا فيه إشكالاً أو مانعاً يمنع من حمله على حقيقته في النهي، وزاد بعضهم معاني بلاغية للنهي من ذلك ما ذكره عبد الكريم الخطيب فقال: "هو نهى يراد به النصح والتوجيه إلى ما ينبغي أن يكون عليه النبي ﷺ مع الوحي"^(١٠٢)، وما ذكره ابن عاشور إذ قال: "إن النهي هو نهى رحمة وشفقة لما كان يلاقيه في ذلك من الشدة"^(١٠٣)، وقد يكون **الحامل** لهم على هذا أن اللفظ لا يعدل به عن معناه الحقيقي لمعنى آخر إلاّ بدليل أو مانع من الحمل على المعنى الحقيقي، ولا وجود لهذا هنا، فإن هذا كما أشرنا سابقاً ليس فيه تجويز للذنب على الأنبياء رضوان الله عليهم، وليس فيه شهادة على النبي ﷺ بما ينتقص منه حاشاه، فهي تدخل في باب الإرشادات من الله تعالى لنبيه في طريق الدعوة.
- ٢- **(لا) ليست على معنى النهي:** بل على معنى البشارة للنبي ﷺ بالكفاية أي؛ أنك قد كُفيت مؤنة الاستنكار للحفظ، وقد

ذهب إلى هذا القول الماتريدي، ودليله على هذا يتمثل فيما يأتي:

- **العقل:** فابتدأ بتضعيف كون (لا) على معنى النهي كما يأتي^(١٠٤):
 - عدم جواز الشهادة على النبي ﷺ بأنه كان يحرك لسانه قبل مجيء هذه الآية مخافة النسيان إلا بأخبار متواترة؛ لأنه لا تجوز الشهادة على رسول الله ﷺ أنه كان يفعل ذلك إلا بتواتر الأخبار، فأما أن يثبت بخبر واحد فلا.
 - لا يقال بأنه لو لم يتقدم منه التحريك، لكان لا معنى للنهي؛ فإنه ليس فيه ما يثبت مقالته، ويصح تأويلهم، ويسوغ لهم الشهادة؛ لأنه يستقيم في الابتداء أن يُنهي فيقال: (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ)، ولا تفعل كذا، وإن لم يسبق منه ارتكاب ذلك الفعل، ولا تقدم منه تحريك لسان؛ فثبت أنه ليس في ضمن هذه الآية بيان ما ادعوا.
- ثم بعد ذلك بين أن الأفضل حمله على معنى كفاية مؤونة الاستنكار وذلك؛ "لأنّ فيه بيان لعظيم آيات الرسالة بأنّ السورة تلقى عليه؛ فيحفظها كما هي، مما يشهد على الناس حفظه وقراءته إلا أن ينكفوا، ويجتهدوا في ذلك؛ فيعلم بهذا أن الله ﷻ هو الذي أقره على ذلك، وجعله آية من آياته"^(١٠٥).

ثم أعقبه بكلام طويل لكنه من حيث لا يدري ناقض نفسه بما ذكره فيما بعد، فمن الكلام الذي ذكره: "الأصل أن من ألقى إلى آخر كلاماً متتابعاً نظر في ذلك الكلام: فإن كان القصد منه حفظ عين الكلام، فإن المخاطب به لا ينتظر فراغ المتكلم عن ذلك الكلام، بل يشتغل بالتقائه وتحفظه ساعة ما يلقي إليه، وأما إذا لم يكن القصد من الكلام ضبط عينه، وإنما أريد به تفهيم ما أودع فيه من المعنى، فالعادة في مثله الإصغاء إلى آخر الكلام؛ ليفهم معناه، وما يراد به"، ثم قال: "والقرآن قصد به الوجهين جميعاً: ضبط حروفه ونظمه، وتعرف ما أودع فيه من المعاني، فقل: لا تعجل بتحريك اللسان كما يفعل من يريد النقاء الكلام الذي يلقي إليه؛ فإنك وإن أحوجت إلى حفظ نظم وحروفه، فقد كفيت حفظه بدون تحريك اللسان، وجائز أن يكون نُهي عن تحريك اللسان والمبادرة إلى حفظه قبل أن يُقضى إليه بالوحي؛ لما فيه من ترك التعظيم لمن يأتيه بالوحي، فأمر أن يصغي إليه سمعه، ويستمع إلى آخره؛ تعظيماً للذي أتاه بالوحي، وتوقيراً له"^(١٠٦).

فتراه في هذا الكلام عاد وأثبت أنّ (لا) هي على معناها من النهي حقيقةً، وليس فيها من الموانع ما ذكره سابقاً.

الرأي المختار:

مما سبق نلاحظ أن الماتريدي عندما حاول نفي أن تكون (لا) على معناها من النهي، لم يستقيم له ذلك بل تبين أن إنكاره لا يستقيم، وأن (لا) على معناها في النهي حقيقة وأنّ هذا ليس فيه إشكال، بل هو منسجم مع الآية عقلاً ودياناً، وما يدفع الباحثان إلى هذا الترجيح السياقات القرآنية المختلفة المتمثلة ببعض الأوامر والنواهي، والإرشادات في طريق الدعوة، كما أشرنا في الترجمات عند توضيح علة العجلة في الآية^(١٠٧).

الخاتمة.

في ختام الدراسة وختام التطواف بين كتب التفسير المختلفة، ومحاولة الاستقراء الدقيق بقدر الطاقة البشرية لأقوال المفسرين، فإنّ أهم ما توصل إليه الباحثان ما يأتي:

- ١- اختلفت آراء المفسرين وظهر موطن النزاع عندهم في قوله: **(لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ)** [القيامة: ١٦]، متمثلاً بثلاث قضايا رئيسية: وهي تحديد المخاطب في الآية، وتحديد علة العجلة، وتحديد نوع (لا) فيها.
- ٢- اختلف المفسرون في تحديد المخاطب في الآية على قولين؛ أولهما: أنه النبي ﷺ وهو قول الجمهور، ثانيهما: أن الخطاب عام لكل إنسان وهو رأي القفال، وترجح الدراسة رأي الجمهور بدليل الصحيح المأثور من النقل، يعاضده سياق السورة، وسياق الآيات المتشابهة في سورة طه، واللغة.
- ٣- اختلف المفسرون في تحديد سبب العجلة والداعي لتحريك اللسان على أقوال كثيرة، تجتمع تحت علل ثلاثة، وهي: الحب والشوق للقرآن، والحرص على الدعوة، والخوف من النسيان، وترجح الدراسة أن الخلاف صوري ويمكن الجمع بين الأقوال، بدليل المنقول من القرآن والسنة، وبدليل العقل، وبدليل سياق الآيات المتشابهة مع سورة طه.
- ٤- اختلف المفسرون في تحديد نوع (لا) في الآية، فحملها الجمهور على معناها الحقيقي من النهي، وأخرجها الماتريدي عن معناها الحقيقي، وحملها على معنى كفاية النبي ﷺ مؤونة الاستنكار؛ لأن الله تعالى سيحفظ الآيات في صدره، وترجح الدراسة أنها على معناها الحقيقي من النهي، لعدم امتناع حملها على ذلك ديانةً وعقلاً، ولضعف حجج الماتريدي، ومناقضته لنفسه بحملها بعد ذلك على معناها الحقيقي.

وفي ختام الدراسة، فإن الباحثين يوصيان بالآتي:

١. توسيع دائرة التطبيق في التفسير المقارن، بهدف إثراء المكتبة التفسيرية؛ ذلك لأن مثل هذه الدراسات تعمل على حل إشكالات عديدة حول آيات القرآن الكريم، وخاصة ما يتعلق بمشكل القرآن ومتشابهه.
٢. وضع فهرست أو جمع الآيات التي يمكن بحثها بشكل مقارن، لحل ما قد يعرض للباحثين في باب المُشكل والمتشابه، وفي بعض القضايا الفقهية، والعقدية، وغيرها مما قد يكون لبنة مساعدة لحل الإشكال وجمع الآراء وتوضيحها. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش.

- (١) ينظر: الزركشي، بدر الدين (ت ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، (ط١)، (١٣٧٦هـ/١٩٥٧م)، ج١، ص١٩٣. وكذلك كتاب الإتيان للسيوطي، فقد كانت القيامة في الروايات التي أوردها الثلاثون في النزول، ينظر: السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ج١، ص٤٠-٤٣.
- (٢) ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر (ت ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ط(١٩٨٤هـ)، ج٢٩، ص٣٣٧.
- (٣) ينظر: أبو عمرو الداني، عثمان (ت ٤٤٤هـ)، البيان في عد آي القرآن، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، (ط١)، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ص٢٥٩، وقد راجع الباحثان مصحف ورش عن نافع الصادر عن دار الفكر في الأردن، بإشراف الدكتور إبراهيم توفيق ضمرة، (ط١)، (٢٠١٤م)، وقد ظهر للباحثين أن الخلاف كما أشار الداني في فاصلة لتعجل به كالاتي في الكوفي جعلها نهاية آية: **(لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأَهُ**

- فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٦-١٨]، أما في العدد المدني المتبع في المصحف فلم تكن نهاية آية كالاتي: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهٖ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهٖ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٦-١٧].
- (٤) ينظر: القاسمي، محمد جمال الدين (ت ١٣٣٢هـ)، محاسن التأويل، تحقيق: محمد عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، (١ط)، (١٤١٨هـ)، ج ٩، ص ٣٦٢.
- (٥) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٩، ص ٣٣٦.
- (٦) ينظر: الألويسي، شهاب الدين (ت ١٢٧٠هـ)، روح المعاني، تحقيق: علي عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، (١ط)، (١٤١٥هـ)، ج ١٥، ص ١٥٠.
- (٧) ينظر: السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ)، الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط (١٩٧٤م)، ج ١، ص ١٨٧-١٩٧.
- (٨) ينظر: ابن سلام، أبو عبيد (ت ٢٢٤هـ)، فضائل القرآن، تحقيق: مروان عطية وآخرون، دار ابن كثير، دمشق، (١ط)، (١٤١٥هـ)، ص ٢٢٥. وينظر: طرهوني، محمد بن رزق، موسوعة فضائل سور وآيات القرآن (القسم الصحيح)، مكتبة العلم، جدة، (٢ط)، (١٤١٤هـ)، ج ٢، ص ٢٠٧، وقد حقق الكتاب ما ورد في فضل المفصل في الجزء الأول من الكتاب، دار ابن القيم، الدمام، (١ط)، (١٤٠٩هـ)، ص ١٢٨-١٣١، وهو حديث حسن لشواهده، وذكر ما جاء فيه من الموقوفات، والمراسيل.
- (٩) ينظر: ابن عطية، أبو محمد عبد الحق (ت ٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، (١ط)، (١٤٢٢هـ)، ج ٥، ص ٤٠١.
- (١٠) ينظر: قطب، سيد (ت ١٣٨٦م)، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (٥ط)، (١٣٨٦هـ/١٩٦٧م)، ج ٨، ص ٣٧٦-٣٧٨.
- (١١) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٩، ص ٣٣٧.
- (١٢) ينظر: الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، (٤ط)، (١٩٨١م)، ج ٣، ص ٤٨٢.
- (١٣) ينظر: الشنقيطي، سيد محمد، المختصر في تفسير القرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية، السعودية، (٣ط)، (١٤٣٧هـ)، ص ٥٧٧.
- (١٤) ينظر: قطب، في ظلال القرآن، ج ٨، ص ٣٧٩-٣٨٩.
- (١٥) ينظر: الزحيلي، وهبة (ت ١٤٣٦هـ)، التفسير المنير، دار الفكر المعاصر، دمشق، (٢ط)، (١٤١٨هـ)، ج ٢٩، ص ٢٤٩-٢٥٠.
- (١٦) ينظر: حوى، سعيد (ت ١٤٠٩هـ)، الأساس في التفسير، دار السلام، القاهرة، (٦ط)، (١٤٢٤هـ)، ج ١١، ص ٦٢٦٠-٦٢٧٤.
- (١٧) ينظر: أبو جعفر، أحمد بن إبراهيم (ت ٧٠٨هـ)، البرهان في تناسب سور القرآن، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، (١٠هـ/١٩٩٠م)، ص ٣٥١-٣٥٢. وينظر: أبو حيان، محمد (ت ٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد، دار الفكر، بيروت، (١٤٢٠هـ)، ج ١٠، ص ٣٤٣. وينظر: البقاعي، إبراهيم (ت ٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج ٢١، ص ٨٤. وينظر: المراغي، أحمد ابن مصطفى (ت ١٣٧١هـ)، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، (١ط)، (١٣٦٥هـ)، ج ٢٩، ص ١٤٤. وينظر: الخطيب، عبد الكريم (ت ١٣٩٠هـ)، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، ج ١٥، ص ١٣١١. وينظر: حوى، الأساس في التفسير، ج ١١/٦٢٧٤. وينظر: الشنقيطي، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص ٥٧٥.

- (١٨) ينظر: أبو جعفر، البرهان في تناسب سور القرآن، ص ٣٥٢-٣٥٣. وينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج ٢١، ص ١٢١. وينظر: المراغي، تفسير المراغي، ج ٢٩، ص ١٥٩. وينظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج ١٥، ص ١٣٤٩. وينظر: الشنقيطي، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص ٥٧٨.
- (١٩) ينظر: الرازي، فخر الدين (ت ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط ٣)، (١٤٢٠هـ)، ج ٣٠، ص ٧٢٦-٧٢٧.
- (٢٠) ينظر: الخطابي، أبو سليمان (ت ٣٨٨هـ)، (بيان إعجاز القرآن) ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، (ط ٥)، (٢٠٠٨م)، ص ٥١.
- (٢١) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ٤٨.
- (٢٢) ينظر: ابن جزري، أبو القاسم محمد (ت ٧٤١هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، (ط ١)، (١٤١٦هـ)، ج ٢، ص ٤٣٤.
- (٢٣) ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج ١٥، ص ١٥٨.
- (٢٤) ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج ١٥، ص ١٥٧-١٥٨.
- (٢٥) الففال هو: محمد بن علي بن إسماعيل الففال الكبير الشاشي، نسبة إلى الشاش، وهي مدينة وراء نهر سيحون، خرج منها جماعة من العلماء، ولد سنة (٢٩١هـ)، وقد كان إماماً في التفسير والحديث والكلام والأصول والفروع والزهد والورع واللغة والشعر ذاكراً للعلوم محققاً لما يورده حسن التصرف فيما عنده فرداً من أفراد الزمان، قال فيه أبو عاصم العبادي هو أفصح الأصحاب، وقال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي له مصنفات كثيرة ليس لأحد مثلها وهو أول من صنف الجدل الحسن من الفقهاء، واختلفوا في وفاته فقال أبو إسحاق الشيرازي توفي في (٣٣٦هـ)، وقال الحاكم أبو عبد الله توفي بالشاش (٣٦٥هـ) ووافقه ابن السمعاني ورجحه السبكي. ينظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (ط ١)، (١٩٧١م)، ج ٤، ص ٢٠٠-٢٠١. وينظر: السبكي، تاج الدين (ت ٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود الطناحي، وعبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، (ط ٢)، (١٤١٣هـ)، ج ٣، ص ٢٠٠-٢٠٣.
- (٢٦) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج ١٠، ص ٣٥٠.
- (٢٧) ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج ١٥، ص ١٥٩، وقال القاسمي معلقاً على رأي الففال: "هذا الوجه فيما يظهر فيه غاية القوة والارتباط به قبله وما بعده، مما يؤثر على المأثور، الذي قد يكون مدركه الاجتهاد، والوقوف مع ظاهر ألفاظ الآية، ومما يؤيده ما أورد عليه أن ابن عباس لم ير النبي ﷺ في تلك الحال؛ لأن الظاهر أن ذلك كان في مبدأ البعث النبوي، ولم يكن ابن عباس ولد حينئذ"، ينظر: القاسمي، محمد جمال الدين (ت ١٣٣٢هـ)، محاسن التأويل، تحقيق: محمد عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط ١)، (١٤١٨هـ)، ج ٩، ص ٣٦٧.
- (٢٨) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج ٣، ص ٣٧٦-٣٧٨.
- (٢٩) ينظر: حوى، الأساس في التفسير، ج ١١، ص ٦٢٦٧-٦٢٦٨.
- (٣٠) ينظر: البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير، دار طوق النجاة، (ط ١)، (١٤٢٢هـ)، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله؟، حديث (٥)، ج ١، ص ٨، ووردت كذلك في كتاب التفسير، باب سورة القيامة، حديث (٤٩٢٧)، ج ٦، ص ١٦٣، وفي باب {إن علينا جمعه وقرآنه}، حديث (٤٩٢٨)، ج ٦،

- ص ١٦٣، وفي باب قوله: {فإذا قرأناه فاتبع قرآنه}، قال ابن عباس: {قرأناه}: «بيناه»، {فاتبع}: «اعمل به» حديث (٤٩٢٩)، ج ٦، ص ١٦٣.
- (٣١) ينظر: مسلم، ابن الحجاج أبو الحسن (ت ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة، حديث (١٤٧) و (١٤٨)، ج ١، ص ٣٣٠.
- (٣٢) ينظر: ابن حنبل، أحمد بن محمد (ت ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، (١)، (١٤١٦هـ)، حديث (١٩١٠)، ج ٢، ص ٤٤٨ + حديث (٣١٩١)، ج ٣، ص ٣٧٢.
- (٣٣) ينظر: الترمذي، محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تحقيق: إبراهيم عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، (٢)، (١٣٩٥هـ)، باب ومن سورة القيامة، حديث (٣٣٢٩)، ج ٥، ص ٤٣٠.
- (٣٤) ينظر: النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد (ت ٣٠٣هـ)، سنن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، (٢)، (١٤٠٦هـ)، كتاب الافتتاح، باب جامع ما جاء في القرآن، حديث (٩٣٥)، ج ٢، ص ١٤٩.
- (٣٥) ينظر: الوادعي، مقبل بن هادي (ت ٤٢٢هـ)، الصحيح المسند من أسباب النزول، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، (٤)، (١٤٠٨هـ)، ص ٢٢٦.
- (٣٦) ينظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف بدأ الوحي إلى رسول الله ﷺ، حديث (٥)، ج ١، ص ٨.
- (٣٧) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٣٠، ص ٧٢٧.
- (٣٨) ينظر: البيضاوي، ناصر الدين (ت ٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١)، (١٤١٨هـ)، ج ٥، ص ٢٦٦.
- (٣٩) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج ١٠، ص ٣٤٨.
- (٤٠) ينظر: الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (١)، (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ج ٢٤، ص ٦٥-٦٦.
- (٤١) ينظر: ابن فورك، أبو بكر محمد (ت ٤٠٦هـ)، تفسير ابن فورك (من أول سورة نوح-إلى آخر سورة الناس)، تحقيق: سهيمة بنت محمد، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، (١)، (١٤٣٠م/٢٠٠٩م)، ج ٣، ص ٩٦.
- (٤٢) ينظر: ابن أبي طالب، أبو محمد مكي (ت ٤٣٧هـ)، الهداية إلى بلوغ النهاية، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة الشارقة، الشارقة، (١)، (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ج ١٢، ص ٧٨٧٣.
- (٤٣) ينظر: الماوردي، أبو الحسن علي (ت ٤٥٠هـ)، تفسير الماوردي (النكت والعيون)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٦، ص ١٥٥.
- (٤٤) ينظر: السمعاني، أبو المظفر منصور (ت ٤٨٩هـ)، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وآخر، دار الوطن، الرياض، (١)، (١٩٩٧م)، ج ٦، ص ١٠٦.
- (٤٥) ينظر: القرطبي، شمس الدين (ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، (٢)، (١٩٦٤م)، ج ١٩، ص ١٠٦.

- (٤٦) ينظر: ابن عادل، أبو حفص سراج الدين (ت ٧٧٥هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: الشيخ عادل أحمد وآخر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (ط١)، (١٩٩٨م)، ج١٩، ص٥٥٩.
- (٤٧) ينظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج١٥، ص١٣٢٣.
- (٤٨) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٥، ص٤٠٤.
- (٤٩) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج١٠، ص٣٤٨.
- (٥٠) ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج١٥، ص١٥٧.
- (٥١) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج٢٤، ص٦٧.
- (٥٢) ينظر: ابن فورك، تفسير ابن فورك، ج٣، ص٩٦.
- (٥٣) ينظر: ابن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، ج١٢، ص٧٨٧٣.
- (٥٤) ينظر: الماوردي، تفسير الماوردي، ج٦، ص١٥٥.
- (٥٥) ينظر: السمعاني، تفسير القرآن، ج٦، ص١٠٦.
- (٥٦) ينظر: البغي، أبو محمد الحسين (ت ٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط١)، (١٤٢٠هـ)، ج٥، ص١٨٥.
- (٥٧) ينظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود (ت ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، (ط٣)، (١٤٠٧هـ)، ج٤، ص٦٦١.
- (٥٨) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٥، ص٤٠٤.
- (٥٩) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٩، ص١٠٦.
- (٦٠) ينظر: ابن جزري، التسهيل لعلوم التنزيل، ج٢، ص٤٣٣.
- (٦١) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج١٠، ص٣٤٨.
- (٦٢) ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، (ط٢)، (١٩٩٩م)، ج٨، ص٢٧٩.
- (٦٣) ينظر: ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ج١٩، ص٥٥٩.
- (٦٤) ينظر: السيوطي، عبد الرحمن (ت ٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، ج٨، ص٣٤٨.
- (٦٥) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج٥، ص٢٦٦.
- (٦٦) ينظر: النسفي، أبو البركات عبد الله (ت ٧١٠هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، (ط١)، (١٩٨٨م)، ج٣، ص٥٧٢.
- (٦٧) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج١٠، ص٣٤٨.
- (٦٨) ينظر: الخطيب الشربيني، شمس الدين (ت ٩٧٧هـ)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، (١٢٨٥هـ)، ج٤، ص٤٤٢.
- (٦٩) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٨، ص٢٧٩.
- (٧٠) ينظر: الواحدي، أبو الحسن (ت ٤٦٨هـ)، التفسير البسيط، عمادة البحث العلمي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،

- السعودية، (ط١)، (١٤٣٠هـ)، ج٢٢، ص٤٩٦.
- (٧١) ينظر: ابن الجوزي، جمال الدين (ت ٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، (ط١)، (١٤٢٢هـ)، ج٤، ص٣٧١.
- (٧٢) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج٣٠، ص٧٢٨.
- (٧٣) ينظر: أبو السعود، محمد بن محمد (ت ٩٨٢هـ)، تفسير أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٩، ص٦٦.
- (٧٤) ينظر: الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ)، فتح القدير، دار ابن كثير، دمشق، (ط١)، (١٤١٤هـ)، ج٥، ص٤٠٦.
- (٧٥) ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج١٥، ص١٥٧.
- (٧٦) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج٢٤، ص٦٧.
- (٧٧) ينظر: الثعلبي، أحمد بن محمد (ت ٤٢٧هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط١)، (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، ج١٠، ص٨٧.
- (٧٨) ينظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج٨، ص٣٤٨.
- (٧٩) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج٢٤، ص٦٧.
- (٨٠) ينظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج٨، ص٣٤٨.
- (٨١) ينظر: ابن جزري، التسهيل لعلوم التنزيل، ج٢، ص٤٣٣.
- (٨٢) ينظر: الماتريدي، محمد (ت ٣٣٣هـ)، تفسير الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١)، (٢٠٠٥م)، ج١٠، ص٣٤٥.
- (٨٣) ينظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج١٥، ص١٣٢٢.
- (٨٤) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٩، ص٣٥٠.
- (٨٥) ينظر: الماتريدي، تفسير الماتريدي، ج١٠، ص٣٤٥.
- (٨٦) اختار الباحثان رواية واحدة من هذه الروايات، وقد وردت غيرها بذات اللفظ أو نحوه في عدد من كتب الحديث الصحيحة وكتب أسباب النزول، ينظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله؟، حديث (٥)، ج١، ص٨، ووردت كذلك في كتاب التفسير، باب سورة القيامة، حديث (٤٩٢٧)، ج٦، ص١٦٣، وفي باب {إن علينا جمعه وقرآنه}، حديث (٤٩٢٨)، ج٦، ص١٦٣، وفي باب قوله: {فإذا قرأناه فاتبع قرآنه}، قال ابن عباس: {قرآنه}: «بيناه»، {فاتبع}: «اعمل به» حديث (٤٩٢٩)، ج٦، ص١٦٣، وينظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة، حديث (١٤٧) و(١٤٨)، ج١، ص٣٣٠، وينظر: ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، حديث (١٩١٠)، ج٢، ص٤٤٨، وحديث (٣١٩١)، ج٣، ص٣٧٢، وينظر: الترمذي، سنن الترمذي، باب ومن سورة القيامة، حديث (٣٣٢٩)، ج٥، ص٤٣٠، وينظر: النسائي، سنن النسائي، كتاب الافتتاح، باب جامع ما جاء في القرآن، حديث (٩٣٥)، ج٢، ص١٤٩، وينظر: الوادعي، الصحيح المسند من أسباب النزول، ص٢٢٦.
- (٨٧) ينظر: ابن جزري، التسهيل لعلوم التنزيل، ج٢، ص٤٣٣.
- (٨٨) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٥، ص٤٠٤. وينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج١٠، ص٣٤٨.
- (٨٩) ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج١٥، ص١٥٧. وينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٩، ص٣٤٩.

- (٩٠) ينظر: الواحدي، التفسير البسيط، ج ٢٢، ص ٤٩٦-٤٩٧. وينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٩، ص ١٠٦.
- وينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٨، ص ٢٧٨. وينظر: ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ج ١٩، ص ٥٥٩.
- وينظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج ١٥، ص ١٣٢٢. وينظر: الزحيلي، التفسير المنير، ج ٢٩، ص ٢٦٣.
- (٩١) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٩، ص ٣٤٩-٣٥٠.
- (٩٢) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٣٠، ص ٧٢٧.
- (٩٣) ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج ١٥، ص ١٥٩.
- (٩٤) ينظر: ابن فارس، أحمد (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، (١٣٩٩هـ)، ج ٤، ص ٢٣٧.
- (٩٥) ينظر: ص ١٦ من الدراسة.
- (٩٦) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ٢٤، ص ٦٥-٦٧.
- (٩٧) ينظر: الخفاجي، شهاب الدين (ت ١٠٦٩هـ)، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، دار صادر، بيروت، ج ٨، ص ٢٨٢.
- وينظر: الألوسي، روح المعاني، ج ١٥، ص ١٥٧.
- (٩٨) ينظر: ابن هشام، عبد الله (ت ٧٦١هـ)، مغني اللبيب، تحقيق: محمد محيي الدين، المكتبة العصرية، صيدا، ط (٢٠١٥م)، ج ١، ص ١١٩-١٢٠.
- (٩٩) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ٢٤، ص ٦٧.
- (١٠٠) ينظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، حديث (٣٢١٨)، ج ٤، ص ١١٢-١١٣.
- (١٠١) ينظر: ص ١٧ من الدراسة.
- (١٠٢) ينظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ج ١٥، ص ١٣٢٢.
- (١٠٣) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٩، ص ٣٥٠.
- (١٠٤) ينظر: الماتريدي، تفسير الماتريدي، ج ١٠، ص ٣٤٤-٣٤٥.
- (١٠٥) ينظر: الماتريدي، تفسير الماتريدي، ج ١٠، ص ٣٤٥.
- (١٠٦) ينظر: الماتريدي، تفسير الماتريدي، ج ١٠، ص ٣٤٥-٣٤٦.
- (١٠٧) ينظر: ص ٢٠ من الدراسة.